المحاضرة الرابعة: القصة الشعبية

هناك من الدارسين من يطلق على القصة الشعبية اسم القصة وهناك من يسميها الحكاية لذا أنبه في بداية المحاضرة أن كلا التسميتين مترادفتين، وسنحاول التعرض للمفهوم والخصائص

1\_ المفهوم:

أ\_ لغة:

لفظ القص أو القصص تحدث عنه عند ابن منظور حيث قال:« القص: القطع أو تتبع الأثر...والقصة: الأمر والحديث، واقتصصت الحديث: رويته على وجهه، وقصّ عليه الخبر قصصا، يقال قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها، والقصّ: البيان، والقصص( بالفتح) الاسم، والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبّع معانيها وألفاظها» ، والقص أو القصص في مفهومه اللغوي يقترب جدا من المفهوم الاصطلاحي للحكي.

ب\_ اصطلاحا:

لقد تناول عديد الدارسين المتخصصين هذا المفهوم بالشرح والتعريف، فهي عند الباحثة " نبيلة إبراهيم"« قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها، إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفهية» ، والدارسة في تعريفها تركز على بعض ما تتصف به الحكاية الخرافية مثل الخيال والرواية الشفهية والانتقال والتسلية، في حين أهملت بعض الجوانب كالجانب السحري العجائبي.

فيما يرى الباحث" طلال حرب" أن القصة الشعبية« تركز على حدث أو على بطل، وقد يكون هذا الحدث اجتماعيا أو سياسيا أو نفسيا، وقد يكون البطل طفلا صغيرا أو فتى يافعا أو بطلا شعبيا قوميا تاريخيا، ولكن مهما كان الحدث، ومهما كان عمر البطل فإن الشيء الأساسي، الذي نلاحظه هو أن الحكاية تصور صراعا كبيرا بين الخير والشر» ، لقد ركز الباحث على الموضوع الشمولي للقصة الشعبية، والذي هو صراع الخير والشر مهما كانت طبيعة الحدث فيها، وبالرغم من ذلك نلمس قصورا، ذلك أنه ألغى جوانب أخرى مهمة.

أما الباحثة "روزلين ليلى قريش" فقد ذهبت إلى خلق نوع من الترادف بين الكل والجزء بقولها أن القصة الشعبية « مرادفة للأدب الشعبي\_ فهي تتنوع وفقا لأهداف ثلاثة، بوجه عام وهي: تمجيد أفعال الأجداد الأبطال، والتداول الفني للأساطير القديمة، والتسجيل الواقعي لأحداث الحياة اليومية وما إلى ذلك» ، فالباحثة في تعريفها جعلت من القصة الشعبية مرادفا للأدب الشعبي الذي تندرج تحت جناحه عديد الأشكال الأخرى، ولقد وفقت في وسمها بالعراقة، كونها تمجد الأجداد، وأنها بقايا أساطير قديمة، ثم ربطها بيوميات الحياة ما يعني اجتماعيتها، وهي محقة لحد ما في هذه الجوانب، ولكنها وبحسب رأي الباحث أحمد التجاني سي كبير« أهملت روح الحكايات الممتزجة بالخيال والرموز والمبالغات والمفارقات الغريبة والعجيبة، وكلها ذات أهمية كبرى في السرد الحكائي الشعبي» ، فالقصة الشعبية وإن كانت لصيقة بواقع الإنسان، فعنصر الخيال والمبالغات لا يغيب فيها.

ومن الدارسين الجزائريين الذين حاولوا أن يضبطوا لها مفهوما شاملا أمحمد عزوي الذي اعتبر القصة الشعبية:« ذلك النص المروي مشافهة، والمتنقل عبر زمن مجهول من مكان مجهول، المنطلق من حادثة، قد تكون حقيقية، ثم تشعبت روايتها مع مرور الوقت، فتحورت وتشكلت إلى أن فقدت صفتها الأولى، نظرا للتداول المختلف ونظرا للظروف البيئية والاجتماعية التي تؤثر فيها وقت روايتها» ، فالقصة الشعبية وفقا لرأيه لها منطلق واقعي وحقيقي، بمعنى أنها ذات صلة بالواقع، وتأكيدا منه لهذا المبدأ يضيف أن القصة الشعبية هي« ذلك النص الذي ابتدعه إنسان رهيف الحس، يعبر به عن المعاناة التي يعانيها الشعب تحت ظروف خاصة، فأوجد هذا القصص ليخفف عنه تلك الآلام، وليعوضه بعالم الخيال حتى ينسيه ولو جزءا من الزمن الذي يعيشه، أو ليبعث فيه آمالا فقدها، أو ليحثه على اتخاذ